الحوار القرآني وسيلة للقضاء على الإرهاب والتطرف

وكتبه:
الدكتور ثاني موسى أياغي
قسم الدراسات الإسلامية
جامعة بايرو، كنون – نيجيريا

المقدمة:

الحمد لله الذي يسّر القرآن للذكر وجعل فيه من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا، وأنزله كتابا مباركا للتدبر في آياته والتذكّر بعظاته ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المختار من خلق الله أجمعين، نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن العدوان على البشر بإزهاق الأرواح وإتلاف الممتلكات ظاهرة قديمة قدم الإنسان نفسه، ولم يزل بعض الناس يعدو على بعض بالإرهاب والتطرف والعنف، ولا يرضى بذلك العدوان دين سماوي ولا عقل إنساني، بل الدين هو الذي خلّص البشرية من تبعاتها، وأراح الإنسانية من سوء ويلاتها، وإن القرآن الكريم، هذا الكتاب الذي أُنزل رحمة للعالمين هو أعنى الكتب بتقديم السبل الواقية والحلول الناجعة للقضاء على العدوان بجميع أشكاله وأنواعه، وإن من إرشاداته وتوجيهاته القيّمة توسيع دائرة الحوار وتأييده لكافة الطبقات، ولا شك أن في تطبيق مقاصد هذا الحوار القرآني في عصرنا الراهن نجاةً من جميع الويلات التي نعاني منها جرّاء الإرعاب والتطرّف الذي قضى على الأخضر واليابس، وهلك الحرث والنسل، ولم يراع دينا ولا عرضا ولا مالا ولا عقلا ولا نفسا. والباحث في صفحات هذا المقال يحاول إيراد الحوار القرآني، وبيان حله لمشكلة الإرهاب العدواني، والله أسأل أن يمن بفضله على إكماله، فإنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.

منهجية البحث:

المنهج الذي يعتمد عليه الباحث في إعداد هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على وصف ما هو كائن وتفسيره، والعمل على تحديد العلاقات بين الواقع والمأمول، إلى جانب المقارنة والاستنباط للوصول إلى معرفة دور الحوار القرآني للقضاء على الإرهاب والتطرف، وما دام أن القرآن هو العمدة في هذا البحث، فلا بد من الاعتماد عليه كليا عند الاستدلال والتمثيل والاستنباط بإيراد الآيات المعنية بهذا الموضوع، وشرح مواضع العبر والدروس المستفادة منها.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة هذا البحث في الأسئلة التالية:

- هل من الممكن الاستفادة من الحوار الوارد في القرآن الكريم لحل مشكلات الأمة الإسلامية في هذا العصر؟
- أيّ نوع من أنواع الحوار القرآني يقضي على الإرهاب والتطرّف؟ وكيف يمكن استخدامه بطريقة ناجحة؟
- من هو المدبّر الحقيقي للأعمال العدوانية الإرهابية المنتشرة في العالم الإسلامي؟
- كيف يمكن استخدام الحوار القرآني للقضاء على التطرّف والغلو، ومحو الأعمال العدوانية الإرهابية بالكلية أو تقليلها؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق النقاط الآتية:

- إبراز وسطية القرآن الكريم والذب عن الهجمات الشرسة ضده من أجل قصور الفهم أو سوء القصد.
- تبرئة الأمة الإسلامية ومصادر تشريعها من فرية الإرعاب العدواني التي يحاول أعداء الإسلام نسخها ولصقها بهم.
- إيراد الحلول الكامنة في خبايا الحوار القرآني، وبيان أن في فهمها وتطبيقها خروجا من مأزق العنف بجميع أشكاله.

خطة البحث: يشتمل على المقدمة وأربعة مباحث ثم الخاتمة:
المقدمة، وفيها منهجية البحث، ومشكلته، وأهدافه، وخطته.
المبحث الأول: التعريف بالكلمات الأساسية لعنوان البحث.
المبحث الثاني: أنواع الحوار القرآني وأساليبه وأغراضه وخصائصه.
المبحث الثالث: حوار القرآن الكريم للمسلمين وقضاؤه على الإرهاب والتطرف.
المبحث الرابع: حوار القرآن لغير المسلمين وقضاؤه على الإرهاب والتطرف.
الاختتام والاستنتاج.

المبحث الأول: التعريف بالكلمات الأساسية في عنوان البحث: (الحوار – الإرهاب – التطرف)، وما يتصل بها أو يرادفها من المعاني والألفاظ:

مفهوم الحوار:

الحوار في المدلول اللغوي: تدور مادة حور في الأصل اللغوي حول أربعة معان:

1) شدة بياض العين في شدة سوادها، ومنه سمي نساء الجنة بحور العين.
2) ولد الناقة، يسمى حُوار.
3) الرجوع، ومنه قوله تعالى: (إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ) [الانشقاق: 14].
4) التهيئة والتدوير، ومنه: حوّرْت الخبزة تحويرا: إذا هيّأتها وأدرتها[1].

ولعل المعنى الذي يتناسب مع ما يهمنا في هذا الصدد هما المعنى الثالث والرابع. فالحوار والمحاورة: المرادة في الكلام، أي الرجوع فيه وتدويره بين الطرفين ومنه التحاور، وقد ورد في القرآن الكريم بهذا المعنى في ثلاثة مواضع: قوله تعالى: (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) [الكهف: 34]، وقوله: (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا) [الكهف: 37]، وقوله تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) [المجادلة: 1][2].

الحوار في المعنى العام: تناوله الباحثون بتعريفات شتى منها ما يلي:
أولا: الحوار أن يتناول الحديثَ طرفان أو أكثر بطرح الأفكار، أو بالسؤال والجواب، أو بكل ذلك معا، بشرط وحدة الموضوع، أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر ما، وقد

---

[1] - أبو الحسين أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الفكر، ط 1399هـ - 1979م.ج2، ص: 117.

[2] - الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط2، 1418هـ - 1997م. ص: 262.

يصلان إلى نتيجة، وقد لا يقنع أحدهما الآخر، ولكن المستمع يأخذ العبرة ويكوّن لنفسه موقفا[3].

ثانيا: الحوار محادثة بين شخصين أو طرفين حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيدا عن الخصومة أو التعصّب بطريق يعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر"[4].

ثالثا: الحوار مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلامٍ، وإظهار حجَّةٍ، وإثبات حقٍ، ودفع شبهةٍ، وردُّ الفاسد من القول والرأي[5].

يظهر مما سبق أن الحوار له خصائص وسمات منها:

- أن الحوار لا بد أن يكون بين طرفين ولكل طرف وجهة نظره الخاصة في الموضوع المزمع الحوار فيه.
- من المستحسن أن يكون طرفا الحوار هدفهما الوصول إلى الحقيقة وليس الدفاع عن الآراء والمذاهب.
- يجب حتما في الحوار أن يتخلى عن التعصب الذي من شأنه أن يجر إلى الخصومة والتشاجر، فالحوار سلوك حضاري محض.

هذا وقد وردت في لغة الشرع بعض الألفاظ توازي في المعنى الحوار، منها الجدل، والمحاجة، والتخاصم، غير أن الحوار يختلف عن هذه الألفاظ في بعض الجوانب المهمة، ولا بد هنا من الإشارة إلى الفرق بين الحوار والجدل؛ وذلك لكثرة ورود كلمة الجدل في القرآن الكريم، فقد وردت في تسعة وعشرين موضعا.

الفرق بين الحوار والجدل:

- الحوار سلوك حضاري محض يعزز جانب الوئام والوفاق بعيدا عن الخصومة والتعصب، بينما الجدل يعبّر عن مواقف الخصومة والعناد والتحدي.
- الجدال كما يقول الجرجاني: هو "القياس المؤلف من المشورات والمسلّمات، والغرض منه إلزام الخصم وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان وهو الخصومة في الحقيقة"[6] فهو إذا يدل على الكلام العقيم غلالبا يحاول صاحبه بأي وسيلة دحض حجج الطرف الآخر. ولكن الحوار لا يهدف إلى إفحام الآخرين ولا إسكاتهم، بل يهدف معهم من خلاله للوصول إلى الحقائق. هذه هي السمة البارزة للجدال، مع أنه يأتي أحيانا في القرآن الكريم مرادفا للحوار إذا كان منعوتا بالحسن، كما في قوله تعالى: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [العنكبوت: 46]، وقوله: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

---

[3] - عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية، ط1، دار الفكر، دمشق، ص: 185..

[4] - بسام داود عجك، الحوار الإسلامي المسيحي، دار قتيبة، 1418هـ - 1998م، ص: 20.

[5] - ابن حميد، صالح بن عبد الله: أصول الحوار وآدابه في الإسلام، مكتبة صيد الفوائد، بدون تاريخ، ص: 3.

[6] - علي بن محمد بن علي الجرجاني: التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405م، ص: 101.

وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [النحل: 125]، أما إذا كان خاليا عن هذا الوصف، أو كان موصوفا بالبطلان فهو مذموم كما في قوله تعالى: (وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقّ) [غافر: 5].

والحوار بمعناه العلمي العام يتصل به بعض المعاني في نفس المدلول أو في بعض جزئياته، من ذلك:

- مراعاة القواعد والضوابط في العلوم الشرعية.
- التعايش السلمي، والتسامح الديني.

وسيأتي الحديث عن ذلك كله إن شاء الله في صميم هذا البحث وتطبيقات هذه المعاني من خلال الآيات القرآنية للقضاء على الإرهاب والتطرّف.

مفهوم الإرهاب:

الإرهاب: من مادة رهب، والرهبة والرُّهْب والرَّهَب: مخافة مع تحرّر واضطراب[7]. وقد وردت المادة بمختلف اشتقاقاتها في القرآن الكريم للدلالة على أربعة معان:

1) أولا: الخوف، يقال رهبه، خافه قال تعالى: (وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) [الأعراف: 154].
2) الإزعاج والإخافة والإفزاع، يقال أرهبه: أي أفزعه وجعله يرهب جانبه قال تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) [الأنفال: 60].
3) استدعاء الرهبة أي الخوف، يقال: استرهبه: أي استدعى رهبته حتى رهبه (سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيم) [الأعراف: 116].
4) غلوٌّ في تحمّل التعبّد من فرط الرهبة، وحالة الراهب وطريقته، ومن ذلك الرهبانية الواردة في قوله تعالى: (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا) [الحديد: 27]، فالراهب: المتعبد في صومعة، وراهب النصارى من يعتزل في دير ويتخلى للعبادة، والجمع: رهبان، قال تعالى: (إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ) [التوبة: 34][8].

ولا يخفى أن هذه المعاني القرآنية لا علاقة لها بالمدلول المشاع في عالمنا المعاصر الذي يترجم الإرهاب إلى الكلمة الإنجليزية (Terrorism) وإن كان المدلول الثاني من تلك المعاني يوحي بذلك إلا أن ذلك المدلول أمر محمود، وهو إعداد العدة من قبل المسلمين لكي يذبوا عن دينهم ويدافعوا عن عقيدتهم، ولا يكون أعداؤهم عقبة كؤودا لهم تجاه ممارسة شعائرهم التعبّدية، والإرهاب بمعنى (Terrorism) شيء مذموم، ولعلّ الإعلام الغربي العاتي على الإسلام وأهله هو الذي أخذ يروّج الإرهاب بذلك المعنى، حتى قبله الجميع من دون تنقيح واختيار لفظ أولى بتلك التسمية منه. إن الإرعاب – في نظر الباحث – هي الكلمة الأنسب لمعنى (Terrorism) من كلمة الإرهاب، وذلك ليكون المسلم

---

[7] - الرغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، مرجع سابق، ص: 366 – 367.

[8] - إبراهيم حمروش وآخرون: معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، بدون تاريخ، ص:501، وأيضا: مفردات ألفاظ القرآن، ص: 366 – 367.

على حذر في اختيار الألفاظ على غرار قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا) [البقرة: 104]، فقد نهى الله المسلمين من قول "راعنا" لأنها يشم فيها رائحة الرعونة أي الحمق والجهل، فاستخدام لفظة "الإرهاب" بمعنى (Terrorism) يريدون من وراء ذلك إلصاق الإسلام بتهمة العنف فيوهمون أن المصطلح مشاع في المصدر الأساس للإسلام زورا وبهتانا.

ومع ذلك كله فقد قبل المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي هذه التسمية، فعرّف الإرهاب بأنه: هو"العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغيًا على الإنسان دينه ودمه وعقله وماله وعرضه"[9].

ويرادف الإرهاب بالمفهوم الإسلامي الصحيح الجهاد المأمور به في ديننا الحنيف، المكتمل للشروط والأحكام اللازمة له.

مفهوم التطرف:

أما التطرّف: فأصله من طرف الشيء: جانبه، ويستعمل في الأجسام والأوقات وغيرهما، قال تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ) [هود: 115]. وقال أيضا: (لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) [آل عمران: 127]، خص الطرف بالقطع من حيث إن تنقيص طرف الشيء يتوصّل به إلى توهينه وإزالته، لذا قال تعالى: (نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) [الرعد: 41][10].

ويقال أيضا: تطرّف: أتى الطرف ويقال تطرّفت الشمس دنت للغروب ومنه تنحّى، وتطرّف في كذا: جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط[11].

الاصطلاح القديم للتطرف: إن التطرّف قديما كلمة أطلقها العلماء على القول المخالف للشرع، ويطلقون كلمة: المتطرّف على الشخص المخالف للشرع، وعلى الفعل المخالف للشرع.

الاصطلاح العصري للتطرّف: والاصطلاح الحديث للتطرّف (Extremity) الذي يعنى به العنف فهو أيضا استعمال محدث من قبل أعداء الإسلام، يقول بكر بن عبد الله أبو زيد: "التطرف الديني: لهج المحدثون بهذا الاصطلاح في مطلع القرن الخامس عشر الهجري في وقت حصل فيه رجوع عامة شباب المسلمين إلى الله تعالى والتزامهم بأحكام الإسلام، وآدابه والدعوة إليه، فكان قبل ينبز من هذا سبيله بالرجعية، والتعصب، والجمود، ونحوها. ودين الله بين الغالي، والجافي، وقد كان علماء الإسلام يقررون النهي عن الغلو في الدين، وينشرون النصوص بذلك في الوقت الذي يحثون فيه على التوبة والرجوع إلى الله تعالى، فقلبت القوس ركوة في هذه الأزمان، فصار التائب المنيب إلى ربه ينبز بأنه متطرف؛ للتنفير منه، وشل حركة الدعوة إلى الله تعالى. ومن الغريب أنه

---

[9] - المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في دورته 16 عام 1422 هـ بمكة المكرمة.

[10] - الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، مرجع سابق، ص: 517.

[11] - إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، بدون تاريخ، ج2، ص: 555.

مع سوء ما يرمي إليه فهو وافد من يهود قبحهم الله فتلقفه المسلمون فيا ليتهم يرفضونه والمصطلح لدى أهل العلم هو "الغلو" كما في الحديث المشهور: "إيَّاكم والغلوّ"[12].
ومن خلال ما سبق يتضح جليا أن مما يرادف التطرّف: الغلوّ، وهو أولى الألفاظ لقدمه وروده في لغة الشرع، ولفظة العنف وهي أيضا محدثة.
وقد اختار الباحث لفظة التطرّف لتكون من مفردات عنوان بحثه لأن الطرف يعني الجانب، نظرا إلى أن من ينسب إليه الكلمة يركّز على جانب واحد فقط، فالباحث يهدف في أن يكون ما يسطره في هذه الصفحات علاجا لكلا الجانبين، جانب المنتسبين إلى الإسلام لكنهم أساؤوا فهمه، فاستخدموا تعاليمه في غير مقاصد الشرع الحكيم، وجانب غير المسلمين الذين يكنّون للإسلام ضغائن وإحنا، فأخذوا يحاولون بكل السبل النيل منه، والتقليل من شأنه، أو إبادته نهائيا على وجه البسيطة، وأنى لهم ذلك (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [التوبة: 32].

المبحث الثاني: أنواع الحوار القرآني وأساليبه وأغراضه وخصائصه:

أنواع الحوار القرآني وأشكاله:

تعدّدت أنواع الحوار وأشكاله، وتكاثر ورودها في القرآن الكريم، فقد شغلت حيّزا كبيرا بين دفتي المصحف الشريف، وأخذت مسافة واسعة من صفحات هذا الكتاب العزيز، فقد وردت بكلمة الحوار أحيانا، وبمادة (القول) تارة، والتي وردت في (1721) موضعا[13]، ووردت بأدوات النداء تارة أخرى، فقد تعدّدت في القرآن نداءات الرحمان لأهل الإيمان وأهل الكفران، ونداءاته للناس قاطبة، فكل ذلك يُعد من قبيل الحوار القرآني، ومن أجل ذلك كله تباينت وجهات نظر الباحثين في تقسيم الحوار القرآني فهناك من يقسمه باعتبار موضوع الحوار: فيُدخل فيه الأنواع الآتية:

- الحوار التعليمي، ويمثّل لهذا النوع بقوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) [الكهف: 60].
- الحوار القصصي، كقوله عز وجل: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ) [المائدة: 27]، (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) [الأعراف: 175].
- الحوار الخطابي التذكيري، كقول الحق تبارك وتعالى: (سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ) [البقرة: 211]، وقوله: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ) [طه: 80] وقوله: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ) [البقرة: 40]،

---

[12] - بكر أبو زيد: معجم المناهي اللفظية، ج4، ص: 5، والحديث أخرجه ابن ماجه في سننه طبعة مكتبة أبي المعاطي، بدون تاريخ، عن ابن عباس، في كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، الحديث 3029.

[13] - بسام داود عجك: الحوار في الكتاب والسنة مبادئه وأهدافه، ورقة مقدمة إلى مؤتمر مكة المكرمة الخامس بعنوان: الحوار الحضاري والثقافي أهدافه ومجالاته، الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي، خلال الفترة 4 – 1425/12/6هـ، الموافق 15 – 17/يناير 2005م، ص: 188.

وقوله: (وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُم) [آل عمران: 103]، وقوله: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى) [الضحى: 6].

- الحوار العاطفي الترديدي، وذلك كقول الحق جل شأنه: (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) [الرحمن: 13]، وقوله: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) [القمر: 17][14].

وهناك من يقسمه باعتبار أطراف الحوار: فيجعل فيه الحوار المتعالي، وهو الذي يكون الله عز وجل فيه طرفا، مثل: (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ) [المائدة: 110]، والحوار العادي، وهو الذي يتم بين المخلوقات على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم.ولكن التقسيم الأنسب لهذه الدراسة هو أنواع الحوار القرآني باعتبار أطراف الحوار، وهي نوعان طبعا:

أولا: الحوار القرآني بين الخالق والمخلوق: ويندرج تحته قسمان مُهِمَّان:

القسم الأول: حوار الله مع خلقه المؤمنين المطيعين، ومن أشكاله وأمثلته ما يلي:

- حوار الله مع ملائكته الأبرار، وذلك كقوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) [البقرة: 30].
- حوار الله مع رسله الكرام، وله أمثلة كثيرة، كحوار الله مع إبراهيم في بناء البيت، وفي كيفية إحياء الموتى، وحواره مع موسى في شأن رسالته وفي طلب الرؤية، ومع عيسى في شأن اتخاذ قومه له ولأمه إلها، وجميع القرآن حوار بين الله وبين حبيبه المصطفى عليه السلام.
- حوار الله مع أتباع الرسل المعاصرين لهم: كحوار الله مع قوم موسى في اتخاذ العجل إلها ورؤية الله جهرة، وحوار الله مع الحواريين بواسطة عيسى عليه السلام.
- حوار الله مع سائر المؤمنين إلى يوم الدين، ويدخل في هذا النوع نداءات الرحمن لإهل الإيمان بـ"يا أيها الذين آمنوا" الواردة في القرآن الكريم،.
- حوار الله مع سائر الناس، وجميع (يا أيها الناس) الواردة في القرآن من هذا القبيل، وهذا النوع من النداء يشمل المؤمنين والكافرين.
- حوار الله مع أهل الجنة، وورد ذالك في سورة الأعراف، والصافات، والطور.

القسم الثاني: حوار الله مع خلقه الكافرين المتمردين، ومن أمثلته وأشكاله ما يأتي:

- حوار الله مع إبليس: وورد ذلك مفصلا في سور الأعراف والحجر والإسراء وص.
- حوار الله مع الكفار من كل أمة.
- حوار الله مع أهل النار، وورد ذلك في سورة المؤمنون.

---

[14] - الأمين الصديق عوض الكريم: الحوار في القرآن الكريم وتطبيقاته في الحياة ونشر ثقافته في المجتمع، ورقة مقدمة إلى المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية بمناسبة مرور (14) على نزوله، قاعة أفريقيا الدولية للمؤتمرات، الخرطوم، 20 – 22 محرم 1433هـ، الموافق 15 – 17 ديسمبر 2011م.

ثانيا: الحوار القرآني بين خلق الله بعضهم مع بعض، ويمكن تشطيره أيضا إلى الحوار بين أهل الإيمان وأهل الكفر عموما، ويشمل هذا النوع من الحوار الحياة الدنيا والحياة الأخرى كما قد شمل ذلك القسم السابق، وفيما يلي أشكال وأمثلة تطبيقية لهذا النوع:

- حوار الملائكة مع البشر (المؤمنين والكافرين) في الدنيا، وفي الآخرة إما مع أهل الجنة أو أهل النار.
- حوار الرسل مع أقوامهم: (المؤمنين والكافرين)
- حوار الرسل مع ذويهم: (المؤمنين والكافرين).
- إضافة إلى ما سبق: حوار رسولنا عليه الصلاة والسلام مع أهل الكتاب.
- حوار المؤمنين والكافرين: كحوار مؤمن آل فرعون مع قومه، وحوار الرجل المؤمن مع أصحاب القرية كما في سورة يس.
- حوار سائر الناس بعضهم مع بعض: كحوار أصحاب الجنة المانعين للمساكين بعضهم مع بعض، كما في سورة ن، وكحوار ملكة سبأ مع قومها.

أساليب الحوار القرآني:

إن القرآن الكريم كتاب بليغ في منتهى الفصاحة، اشتملت أساليبه على مستوى رفيع من البلاغة والبيان، كما قد قال منزّله: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) [الزمر: 23]، والحوار المبثوث في هذا الكتاب الحكيم بطبيعة الحال يستخدم كل أسلوب حكيم، فقد أمر المولى عز وجل أن يحاور مصطفاه ومجتباه من خلقه المخاطبين بكلام بليغ مقنع لإحقاق الحق وإبطال الباطل، عند قوله: (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا) [النساء: 63]، فهذا الأسلوب الإقناعي المشتمل على الفصاحة والبيان هو السمة البارزة في أساليب الحوار القرآني، والمتتبع للحوار القرآني إضافة إلى ما سبق يلاحظ ثلاثة أنواع مختلفة من أساليب الحوار هي:

الأسلوب الوصفي التصويري:

وبهذا الأسلوب يعرض القرآن الكريم قصصا ومشاهد حوارية واقعية، يهدف إلى تبسيط الفكرة، وتقريب المستمع من الحوار الجاري، وحمله على تبنّي موقف صحيح.

مثاله: حوار موسى عليه السلام لفرعون: (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ، قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ، قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ، قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ، الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ، قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ، قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ، قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [الشعراء: 23 – 31].

الأسلوب الحجاجي البرهاني:

ويعتمد هذا الأسلوب على الحجة والبرهان لدحض ادعاءات المنكرين للحق البيّن كأدلة التوحيد والبعث والنشور بأسئلة تتوخّى زعزعة تقاليدهم ومعتقداتهم الباطلة، وتهدف إلى توجيههم للنظر والتفكير في آيات الله من أجل بناء قناعات ومواقف صحيحة.

مثاله: قوله تعالى: (قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ، أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [الأنبياء: 66 – 67].

الأسلوب اللّيّن المتسامح:

ويتناول هذا الأسلوب الجانب الأخلاقي الاجتماعي وليس الجانب البلاغي البياني، ويعتمد على العناية بالخلق الحسن عند الحوار مع الطرف الآخر الذي لا ينجرّ إلى الكلمات اللاذعة ولا الفوضى، وقد استعمل القرآن الكريم هذا الأسلوب في جميع حواراته، وأمر الناس بتطبيقه لبناء قناعات ومواقف حوارية صحيحة. كقوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) [آل عمران: 159]، وقوله: (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) [طه: 43 – 44].

أغراض الحوار القرآني ومقاصده:

يمكن تصنيف مقاصد الحوار القرآني وأغراضه إلى المعاني الكامنة في الحوار في حد ذاته، وإلى ما يجنيه المسلم وراء إفادته من ثمرات الحوار لكي يفتح لنفسه آفاقا واسعة لتعامله مع الآخرين، ومن أجل ذلك كله يمكن تسليط الضوء على بعض أغراض الحوار القرآني ومقاصده بما يأتي:

- تحقيق الخير حسا ومعنى للناس قاطبة: ويتضمّن ذلك التعارف المشار إليه في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) [الحجرات: 13]. فالتعارف يشمل معاني الخير كله من التعاون والصلاح والأمن والسلام والرخاء والطمأنينة للناس كافة والتعايش، وكلّ ضروب العمل الإنساني المشترك، لما فيه من الخير والمنفعة للناس جميعا.
- الدعوة: أهم مقاصد الحوار القرآني الدعوة إلى الله، وتعليم الدعاة ما ينبغى أن يسير عليه سلوكهم في تعاملهم مع المدعويين، فالحوار الهادئ مفتاح للقلوب وطريق إلى النفوس، قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [النحل: 125].
- أخذ العبر والدروس: وهذا المقصد ملاحظ في الحوار القصصي للقرآن الكريم، فعلى المثال: في نهاية قصة كل نبي في سورة الشعراء يتبعه الله بقوله: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) [الشعراء: 8]، فالاعتبار من أهم أهداف الحوار القرآني.
- إقامة الحجة وكشف الشبهات والرد على الأباطيل؛ لإظهار الحق وإزهاق الباطل: إن الغاية من الحوار هي إقامة الحجة ودفع الشبهة والفاسد من القول والرأي، والسير بطرق الاستدلال المسار الصحيح للوصول إلى الحق. كما قال تعالى: (وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) [الأنعام: 55].
- تقريب وجهات النظر: من مقاصد وأغراض الحوار القرآني تضييقه لهوة الخلاف، وتقريبه لوجهات أنظار الناس على اختلاف طبقاتهم وآرائهم، وإيجاد حلّ وسط يرضي الأطراف في بيئة كثر فيها التباغض والتناحر، ولا يعني هذا

قط المداهنة والنزول عن المبادئ، بل هو امتداد لمفهوم التعارف والتعاون للتعايش السلمي.

خصائص الحوار القرآني ومميزاته:

تختلف الاعتبارات البشرية حول الحوار الجيد والممتاز، وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر إلا أن الدارس للقرآن يجد في الحوارات الواردة فيه ما يميزها عن غيرها، ويعلم يقينا أن هذا الكتاب تنزيل من حكيم حميد، ومن خصائص ومميزات الحوار القرآني باختصار:

الصلاحية لكل زمان ومكان:

سبقت الإشارة إلى أن من أهداف الحوار القرآني الدعوة وأخذ العبرة، فأساليب الحوار الدعوية المبثوثة في القرآن الكريم تعد زادا يتبلغ به الداعي في كل زمان ومكان، وكذلك عندما يتفاقم الخلاف، ويهيج لهيب الشقاق، قد أرشد القرآن الكريم إلى السبل الموصلة إلى القضاء عليه أو تقليله، فالإرشاد القرآني إلى الزوجين اللذين تفرّقا خير مثال في هذا المجال، قال تعالى: (وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) [البقرة: 237]، فتعاليم هذا الكتاب المبين عموما وفي الحوار بوجه أخص تصلح لكل زمان ومكان.

الشمولية والإحاطة:

كما كان القرآن العظيم شاملا لجميع جوانب الحياة، كذلك الحوارات الواردة فيه غطت جميع الطبقات، وشملت كل الفئات، وكما قد سبق من أنواع الحوار أن فيه الحوار بين الرب والمربوب، والرئيس والمرؤوس، وبين القرينين، وبين أتباع الديانات المختلفة، وبين الدعاة والمدعويين، كل ذلك كي يعطينا انطباعا جياشا أن التقارب بين وجهات النظر ممكن الوقوع، وأنه إن لم يمكن الاتفاق على أمر، فليس من اللازم أن نتناشاجر ونتناحر، بل هناك خيار آخر وهو التعايش السلمي والتسامح الديني.

مخاطبة العقل والعاطفة:

لم ينصب اهتمام الحوار القرآني على مخاطبة العقل فقط دون العاطفة والوجدان، بل خاطب هذا وذاك. وفي القرآن الكريم أمثلة حيّة لهذا الجمع، انظر مثلا كيف خاطب القرآن العقل في قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ، وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) [يس: 77 – 79]، وكيف خاطب الوجدان والعاطفة في قوله: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ، أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [النمل: 62 – 63]. وكيف اجتمع الحوار بين العقل والوجدان في آن واحد في قوله تعالى: (أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا، رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا، وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا، وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا، أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا، وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا، مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) [النازعات: 27 – 33]، وفي (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ) [الطور: 35 – 36].

إقامة الحجة المفيدة لليقين لا الشك:

شهد الله للقرآن أنه (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) [فصلت: 42]، فشملت هذه الشهادة كل جزئياته وكلياته، فأدلته دامغة، وحججه قوية لا يتطرق إليها الشك ولا الظن ولا الارتياب، بل كلها حقيقية، ومن أجل ذلك خاطب الله نبيه آمرا له بأن يقول: (هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [يوسف: 108]؛ لذا أجمع المنصفون حتى من غير المسلمين إفادة حجة القرآن اليقين، فترى العالمون في مختلف الفنون تقودهم نتائج بحوثهم إلى الإسلام طوعا لما رأوا في القرآن ما يدل على أحقية ما توصّلوا إليه من البحوث. وهذه الصفة أي إفادة القرآن وأدلته لليقين لا الظن متوافرة في الحوار القرآني أيما توافر[15].

المبحث الثالث: حوار القرآن الكريم للمسلمين وقضاؤه على الإرهاب والتطرف.

هذا المبحث والذي يليه هما الجانب التطبيقي لهذه الدراسة، وقد سبقت الإشارة في أنواع الحوار القرآني إلى أنه تناول كل الجوانب، والحقيقة التي لا مناص منها أن ما يسمى بالإرهاب في لغة العصر سببه إما الجهل بالإسلام ونبذ تعاليمه وإرشاداته الشاملة وراء الظهور، وإما تدبير المكيدة واستخدام أساليب المكر السيء للنيل من هذا الدين الحنيف لسوء القصد وخبث الطوية، فكلتا الطائفتين: المنتسبة إلى الإسلام أو المنتقمة منه تمارس هذه الفعلة الشنيعة غلوًّا وإفراطا. والحَكَم بين الطائفتين لاقتلاع هذه العويصة من جذورها هو الكتاب العزيز الذي احتوى حواره الشامل على علاج ناجع للفئتين كلتيهما.

إن غياب التطبيق الكامل للشريعة الإسلامية حينا من الدهر في العالم الإسلامي، والأزمات التي تتفاقم على الصعيد الدولي، وطوفان القلق والاضطراب وتعميمهما الأسرة الدولية نتيجةً لإصرار إسرائيل على مواصلة إرعابها وبطشها بالشعب الفلسطيني قتلاً وتدميراً وحصاراً، ضاربة عرض الحائط بالقانون الدولي وبكل القرارات الصادرة عن الأمم المتحدة التي تدين عدوانها وإجرامها، والمؤامرات التي تحاك ضد المسلمين على المستوى الإقليمي والدولي، كل ذلك مما يولد العنف، وينمّي غريزة حب الأخذ بالثأر من باب الجزاء بالمثل، وتذوب به القلوب والأفئدة المؤمنة من كمد واستياء. لكنه مع ذلك كله هل تسوّغ هذه الأعمال للمسلم أن يستبدّ برأيه، ويتناسى المعاني الراقية من الحوار والتسامح والتعايش وقواعد الخلاف والكثير الكثير من هذا القبيل، ويعتقد أن العنف هو الحل الوحيد لمحو تلك الإساءات؟ ومن دون الأخذ في الاعتبار الظروف والملابسات والأوضاع، والنتائج السيئة من فعلته تلك عليه وعلى الأمة جمعاء. إن الشارع الحكيم ضرب لنا أمثلة كثيرة في كتابه العزيز وفي سيرة حبيبه المصطفى لكي نعتبر، ونتخذ منها قدوة حسنة.

ولكيلا يدعي أحد انفراده بالإسلام دون سائر المسلمين، ولا يجعل الحق حكرا على فهمه لوحده، اشتمل القرآن الحكيم على فنون من الحوار شتى، تعطي الصورة الحقيقية

---

[15] - انظر بتصرف: عثمان علي حسن: خصائص الحوار وأساليبه في القرآن الكريم، ورقة مقدمة إلى المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية بمناسبة مرور (14) على نزوله، مرجع سابق.

للإسلام، وأناف على مفهوم الحوار بعض المعاني المتصلة به. ولعل في النقاط الآتية ما يثلج الصدر بأن يكون وسيلة للقضاء على التطرّف المنبثق من المنتسبين إلى الإسلام:

حوار القرآن للمسلمين في شأن الكفار:

إن من أروع مبادئ الحوار القرآني أنه يدعو المسلمين إلى حب الخير وحسن الظن بخلق الله أجمعين، وعدم الغرور أو القطع بأن المخالفين لا ينالهم الله برحمة، فهذا رسول الله عليه السلام لما شج في جبهته وكسرت رباعيته يوم أحد، وخضبوا وجهه بالدم، همّ أن يدعو عليهم، فقال: "كيف يفلح قوم أدموا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله وهم يدعونه إلى الشيطان، ويدعوهم إلى الهدى ويدعونه إلى الضلالة، ويدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار"، فأنزل الله عليه: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ) [آل عمران: 128]، أي لَيْسَ لَكَ يَا مُحَمَّدُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ وَلِلَّهِ جَمِيعُ مَا بَيْنَ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا، دُونَكَ وَدُونَهُمْ يَحْكُمُ فِيهِمْ بِمَا شَاءَ، وَيَقْضِي فِيهِمْ مَا أَحَبَّ، فَيَتُوبُ عَلَى مَنْ أَحَبَّ مِنْ خَلْقِهِ الْعَاصِينَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ ثُمَّ يَغْفِرُ لَهُ، وَيُعَاقِبُ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ عَلَى جُرْمِهِ فَيَنْتَقِمُ مِنْهُ وهو الْغَفُورُ الَّذِي يَسْتُرُ ذُنُوبَ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْتُرَ عَلَيْهِ ذُنُوبَهُ مِنْ خَلْقِهِ بِفَضْلِهِ عَلَيْهِمْ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ، والرحِيم بهم فِي تركه عقوبتهم عاجلا على عظيم ما يأْتون من الْمآثم[16].

وحوار آخر من هذا القبيل هو بين الله وبين المؤمنين في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) [النساء: 94]، أي يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله فيما جاءهم به من عند ربهم إذا سرتم مسيرا لله في جهاد أعدائكم فتأنّوا في قتل من أشكل عليكم أمره، فلم تعلموا حقيقة إسلامه ولا كفره، ولا تعجلوا فتقتلوا من التبس عليكم أمره، ولا تتقدموا على قتل أحد إلا على قتل من علمتموه يقينا حربا لكم ولله ولرسوله. وقد ورد في سبب نزول الآية قصص كثيرة أختار منها في هذا المقال روايتين: الأولى: أن النبي عليه السلام بعث سرية إلى أهل فدك وأمّر عليها غالب بن فضالة الليثي، فلما دارت المعركة بين الفريقين انهزم القوم، وفيهم مرداس بن نهيك بقي وحده؛ لأجل غنيمة كانت معه، فلما لحقه الصحابة نطق بالشهادتين، وقال: السلام عليكم، فقتله أسامة بن زيد، فلمّا رجعوا، نزلت الآية. وفيه أن الرسول عليه السلام قال له: كيف لك و"لا إله إلا الله"، قال: إنما قالها متعوذا، فقال له رسول الله: "هلا شققت عن قلبه فنظرت إليه"؟ فما زال يعاتبه حتى حلف أن لا يقاتل رجلا يقول: "لا إله إلا الله" بعد ذلك الرجل[17]. والرواية الأخرى: أنها نزلت في محلم بن جثامة قتل عامر بن الأضبط الأشجعي في سرية بعد أن ألقى عليهم السلام، فجاء محلم في بردين فجلس بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ليستغفر له، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا غفر الله لك"، فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه، فما مضت له سابعة حتى مات ودفنوه في

---

[16] - أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1412هـ/1992م، ج3، ص: 432 – 434.

[17] - أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، مصدر سابق،.

الأرض، فلفظته الأرض، فجاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك له، فقال: "إن الأرض تقبل من هو شرّ من صاحبكم، ولكن الله أراد أن يعظكم"، ثم طرحوه بين صدفي جبل، وألقوا عليه الحجارة، ونزلت[18].

إن في هاتين الآيتين من سعة دائرة الحوار القرآني ما يزجر كل مسلم عاقل عن قتل امرئ مسلم من غير حق، وفيهما أيضا ما يجعل العاقل أن يتريّث في قتل غير المسلمين إلا بالحق. انظر كيف عاتب الله رسوله عليه السلام في شأن من همّ أن يدعو عليهم، وكيف علّمه سبيل الحوار الهادئ المبنيّ على التوحيد الخالص، وحب الخير للناس، وكيف ملأ قلبه رجاءً وتسامحا، وكيف ربط الله في الآية الثانية الجهاد بالرحمة، وبيّن الشروط التي لا بد من توافرها قبله، وأكّد على تعميم الدعوة أوّلا. ثم في قصص أسباب نزول الآية ما يشهد للحوار القرآني بسعة الأفق، فهذا أسامة بن زيد الحب ابن الحب، ومع ذلك عاتبه عليه السلام أشد العتاب، ووعظه موعظة بليغة اقشعرّ منها جلده، وذرفت منها عيناه، وانظر كيف دعا عليه السلام في القصة الثانية على محلم، وكيف لفظته الأرض. كل ذلك دليل على عصمة دماء الأبرياء المسلمين وغير المسلمين، ولا أظن بعد هذه المواقف النيّرة يتجرأ إنسان على قتل الأبرياء، ناسيا أو متناسيا المعاني الراقية التي احتوى عليها الحوار القرآني في هاتين الآيتين العظيمتين.

مراعاة القواعد والضوابط في العلوم الشرعية:

لمراعاة القواعد في فهم النصوص منزلة رفيعة، فهي من المتطلبات الأساسية للمسلم المعاصر حتى لا يقع في هوة التطرّف الممقوت، وحتى لا يفهم النصوص عارية من الضوابط، وخالية من مراعاة الظروف والملابسات. وهذه القواعد هي من صميم المعاني التي تنطوي تحت ظل الحوار القرآني، ففهم القواعد القرآنية[19]، وكذلك فهم قواعد التفسير[20]، وقواعد الخلاف وأثره في التعايش، كل ذلك له أثره البالغ في تقويم الفهوم للشريعة، وتعديل السلوك، ومن المنبغي إيراد نتف من تلك القواعد فيما يلي:

أولا: قاعدة: الاختلاف والافتراق سنة كونية[21]: هذه القاعدة مستقاة من قوله تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) [هود: 118 – 119]، ومع أن المفسرين قد اختلفوا في المشار إليه بقوله (ولذلك خلقهم) إلا أن جمّا غفيرا منهم فسّروه بأنه سبحانه خلق الناس لكي يختلفوا ولكي يرحمهم. وإذا كان

---

[18] - محمد جمال الدين القاسمي: محاسن التأويل، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1415هـ، ج2، ص: 441. .... وأيضا أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري مصدر سابق ج4، ص:226.

[19] - القواعد القرآنية: أحكام كلية قطعية مستخرجة من نصوص القرآن، انظر: عمر بن عبد الله المقبل: قواعد قرآنية، 50 قاعدة قرآنية في النفس والحياة، دار الحضارة، الرياض، ط3، 1433هـ، ص: 12.

[20] - أما قواعد التفسير فهي القواعد العامة والمطّردة التي يمكن أن يُعملها المفسّر عندما يفسر آية من القرآن، ويبدو على بعض هذه القواعد أنها بمثابة الفوائد، ومنها ما يكون لغويا، ومنها ما يكون أصوليا، ومنها ما يكون بلاغيا. انظر: مساعد بن سليمان الطيار: فصول في أصول التفسير، دار ابن الجوزي، الدمام، ط3، 1420هـ، ص: 87. والفرق بين قواعد التفسير والقواعد القرآنية هو أن القواعد القرآنية تستنبط من صميم الآيات القرآنية، وأما قواعد التفسير فهي ما يستنتج من الأحكام الكلية المطردة في معاني القرآن نتيجة البحث الدقيق والتدبر.

[21] - يوسف بن عبد الله الشبيلي: فقه الخلاف وأثره في القضاء على الإرهاب، موقع حملة السكينة، ص: 6.

الاختلاف سنة الله في خلقه، والإجماع في كل صغير وكبير أمير عسير، فلا بد إذًا أن نفهم كيف نتعامل مع بعضنا البعض، وكيف نقلّل من آثار الاختلاف السيئة، وكيف يعذر بعضنا البعض فيما سمح لنا الشرع بذلك.

ثانيا: لا يُفسّر آية من القرآن إلا بعد جمع الآيات التي تتحدّث عن موضوعها: هذه قاعدة مهمة من قواعد التفسير الموضوعي، فمن المعلوم أن من سنة القرآن عدم جمع الآيات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد، وإنما جاءت في أماكن متفرّقة لحكم إلهية كثيرة، فليس من قواعد التفسير في شيء أن يُكتفى بتفسير الآية الواحدة والحال أن لها نظائر، بل المفسّر يتحتّم عليه أن يبحث عنها في أماكنها. لذا لمّا استدل النصارى بقوله تعالى: (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ) [النساء: 171]، بأن كلمة الله وروحه المتحدة في شخص عيسى توافق قولهم بلاهويتيته[22]، رُدّ عليهم برودود، منها أنهم لم يجمعوا الآيات التي ناقشت الموضوع، كقوله تعالى: (لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ) [النساء: 172]، وقوله: (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) [المائدة: 75]، وقوله:(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) [المائدة: 17]. ونفس الحكم ينطبق على المسلم الذي يحتج بنص أو بآخر من القرآن أو السنة، ويبرّر به موقفه الغالي المتطرّف، ولا يجمع النصوص التي تتعلّق بذلك الموضوع.

ثالثا: من أبرز القواعد القرآنية في هذا الصدد قوله تعالى: (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) [المائدة: 32]، فأيّ درسٍ هائل يستفاد من هذه القاعدة القرآنية! وأيّ اهتمام بالغ أولتْه الشريعة الإسلامية للنفس الإنسانية! فجعلت إزهاق نفس واحدة في الميزان بمثابة إزهاق نفوس الناس أجمعين، إن هذه الشريعة بحق تستحق بجدارة أن تكون خاتمة الشرائع كلها.

التعايش السلمي، والتسامح الديني:

إن تحقيق السلام للمخلوقات، ومشاركة الآخرين في الخيرية بالتعامل الجيّد والأخلاق الحسنة، انطلاقا من مبدأ الأخوة الإنسانية، إن ذلك كله مبدأ متأصّل في الدين الإسلامي، فالناس في مجتمع واحد إخوة بحكم الانتماء والتعايش؟ لذا أعطى الإسلام التعايش السلمي حقه اللائق به، فقال تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) [الممتحنة: 8]. وعليه إذا كان غير المسلمين لا يشكّلون خطرا للمسلمين، فالتعامل معهم على أساس تبادل الاحترام[23].

والتسامح الديني، أو بعبارة أخرى حرّيّة التدَيّن مفهوم لم تشهد الإنسانية التطبيق الكامل له مثل ما شهدت في عصر الرسول، قال تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) [البقرة: 256]. مع أن الإسلام هو خاتمة الأديان السماوية، ولن يقبل الله غيره، مع كل ذلك

---

[22] - ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي حسن ناصر وآخرين، ط1، دار العاصمة – الرياض، 1414هـ. ج4، ص: 27.

[23] - سعيد إسماعيل صيني، حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1999م، بتصرف، ص: 8 – 9.

فقد قرر الله في القرآن أساس حرّيّة التدين، ونادى المسلمين قاطبة إلى التمسّك بهذا المبدأ في هذه الآية وآيات أخرى من الذكر الحكيم. فقد أخبر تعالى أنه ما بنى أمر الإيمان على الإجبار والقسر، وإنما بناه على التمكين والاختيار، ونهى عن إكراه أحد على الدخول في دين الإسلام، فإنه واضح، جلِيٌّ دلائله وبراهينه، لا يحتاج أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام، وشرح صدره، ونوّر بصيرته، دخل فيه على بينة، ومن عمي قلبه فإنه لا يفيده الدخول فيه مكروها مقسورا[24].

ومما يصلح مثالا للتعايش السلمي والتسامح الديني أيضا قوله تعالى: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) [القصص: 56]. ووجه مطابقة الآية للقضاء على التطرّف أن بعض المذاهب الإسلامية يفهمون قضية الولاء والبراء فهما معكوسا، فيرون أن الولاء هو المحبة، فأي حب لأيّ كافر أو لأيّ فاسق يعتبرونه نقضا للولاء، وأيّ تعاون مع أيّ كافر يعتبرونه نقضا للبراء، وهذا غير صحيح فالله تعالى قال لرسوله عليه السلام (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) فهذا دليل على أنه يمكن أن يحب كافرا، وقد نزلت الآية في حرصه عليه السلام على إيمان عمه أبي طالب[25]، فأثبت أنه أحب ولم يلُمه على ذلك، ففُهم أن التعايش السلمي مسموح به في ديننا الحنيف.

المبحث الرابع: حوار القرآن لغير المسلمين وقضاؤه على الإرهاب والتطرف.

إن كثيرا من الكُتّاب وأولي الأمر من الأمة الإسلامية وخاصة المفكّرين منهم يتهمون غير المسلمين سيّما قوى الكفر العالمية الكبرى بالمؤامرة والمكيدة للنيل من الإسلام بكل السبل المتاحة لهم من تزوير وإلصاق التهم والقبائح بالإسلام ما هو منها براء، فهم العقل المدبّر لكل أنواع الإرعاب الممارسة في عالمنا المعاصر لأدلة وحجج ليس هنا محل إيرادها بالتفصيل، إذ كيف يُعقل أن أتباع هذا الدين الذي وسع تسامحه كل شيء، وعمّت البرية فيوضات رحمته، كيف يُنسب إلى أهله هذا النكال والوباء الفتّاك؟ وبما أن الحوار القرآني بين الباري عز وجل وبين غير المسلمين من خلقه تعدّدت أشكاله وأصنافه، فحواره تعالى مع إبليس اللعين، وحوار نبيه عليه السلام مع أهل الكتاب، وكذلك الحوار في بعض المواقف العظيمة الحاسمة، هذه الأنواع وما شاكلها تصحّ مثالا حيًّا في هذا الموضع. وتطبيقها في حياتنا اليومية، واتخاذ الدروس والعبر منها، لا شك يقضي على الإرهاب والتطرّف، أو ينقص من حدته ويخفف من وطأته.

حوار الله مع إبليس:

ورد حوار الله عز وجل مع إبليس في القرآن الكريم بالتفصيل في أربع مرات: في سورة الأعراف، والحجر والإسراء وفي سورة ص، وأورد هنا حوار المولى جل شأنه مع إبليس اللعين في سورة الحجر لشموليته، قال تعالى: (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ، قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ، قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ، قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ، وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ

---

[24] - محمد جمال الدين القاسمي، مرجع سابق.

[25] - عبد الله بن فودي: كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن، تحقيق ودراسة: ثاني موسى أياغي، مؤسسة المختار، القاهرة، بدون تاريخ، ج2، ص: .

الدِّينِ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ، إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ، قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ، إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ، لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُوم) [الحجر: 30-44]. ووجه كون هذه الحادثة العرضية حوارا أن الباري أصدر أمره لعبد من عباده بالسجود على عبد من عباده، فاعترض عليه إبليس المتمرّد وامتنع من امتثال الأوامر بحجة واهية، فاستحق الطرد واللعن من الرحمن الرحيم، ثم طلب الإمهال من مالك الملك، فأجاب الله الحليم ما دعاه وأعطاه مناه، ثم كرّر اللعين سوء الأدب بخالقه بذكر أنه ليضلنّ خلقه الآدميين، ومع ذلك لم يعجّل الحليم له العقوبة بل أمهله وأسفر له عن الحقيقة الأزلية وهي أن عباد الله المخلصين لا سلطان للشيطان عليهم.

إن من الدروس المستفادة من هذا الحوار ردّ دعاوي المتنطّعين من غير المسلمين الذين يزعمون أن الإسلام دين الاستبداد وسلب الحرّيّة. فهذا أعتى عباد الله، ومع ذلك حاوره الله، وكرّر هذا المشهد في كتابه أربع مرّات تعليما للخلق أن الحوار مقصد عظيم من مقاصد هذا الدين. وفي نفس الوقت هو ردٌّ على أهل الغلوّ المنتسبين إلى الإسلام الذين لا يفسحون المجال للحوار، ولا يرضون من الطرف الآخر إلا إحدى السوءتين إما الانقياد والاستسلام ولو كان عن غير قناعة، أو التخريب والإبادة والإرهاب.

حوار النبي عليه السلام مع أهل الكتاب:

استخدم الحبيب المصطفى أسلوب الحوار – في دعوته - مع أهل الكتاب في عصره، فقد حاور اليهود ووردت مقتطفات من هذا الحوار في القرآن الكريم، وفي سنته المطهرة، وحاور النصارى ووردت صور من هذا الحوار في القرآن الكريم، وفي أحاديثه الشريفة، وخير مثال لنا في هذا الصدد هو حواره عليه السلام مع نصارى نجران، فقد نزلت أول سورة آل عمران إلى ثمانين آية في شأنهم لما قدموا على الرسول صلى الله عليه وسلم عام تسع من الهجرة وقال بعضهم في عيسى: هو الله، وبعضهم: ولد الله، وبعضهم: ثالث ثلاثة[26]، وقد أمر الرسول الكريم بإكرامهم، وأنزلهم في مسجده، ومارسوا فيه شعائرهم التعبدية، ثم جرى الحوار في مناخ آمن خال عن المنغصات المادية والمعنوية، وقد تناول الحوار تلك القضايا الثلاث المتعلقة بالتوحيد، وانتهى باقتناع كلا الطرفين بما هو عليه، من غير إرغامهم على الإسلام كرها لا طوعا.

إن في هذا الحوار من الدروس والعبر ما يلفت النظر ويجذب الانتباه، ففيه:

- أن النبي عليه السلام استخدم الحجج العقلية والأدلة المنطقية في نفي البنوة والألوهية عن عيسى عليه السلام.
- أنه أظهر لأمته بعض قواعد الردّ على النصارى، وكيفية التعامل معهم من غير إظهار الشماتة والعدوان.
- في قوله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا

[26] - عبد الله بن فودي: كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن، مرجع سابق، ج1، ص: 221.

اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [آل عمران: 64]، مأخذ من الحوار راق، فلم يقل الله: فإن تولّوا فإنا نقاتلكم أو نستأصلكم، وإنما قال: (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) ليفيد الحوار أن الإسلام الحق يأتي عن قناعة لا عن إرغام وتعنيف.

الحوار القرآني في بعض المواقف العظيمة:

من المواقف العظيمة التي ظهرت فيها عظمة الحوار القرآني: دعوة المخاطبين للتحاكم إلى العقل الصريح، والتجرّد عن الأحكام المسبقة، وذلك عن طريق وضع مبدأ الشك، لكي يستعمل كلا الطرفين عقله وفكره، وهذا الموقف يتمثل في قوله تعالى: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [سبأ: 24]. فليس في القرآن مبدأ: نحن على الحق وغيرنا على الباطل، أو نحن على الهدى وغيرنا على الضلال، إذ لا يمكن أن يطلق هذا الحكم مقدما قبل البحث والاستدلال وإقامة الحجة والبرهان[27].

ومن الأمثلة لهذه المواقف قوله تعالى: (قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ، قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ) [الأنعام: 57 – 58]، وقوله: (قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا، قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا، إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) [الجن: 21 – 23]، وغير ذلك من المواقف العظيمة الحاسمة التي أظهرت لنا حقيقة الإسلام، دين السماحة والرحمة.

الاختتام والاستنتاج:

وفي الاختتام يرى الباحث ضرورة تأكيد أن هذه المعلومات التي أوردها والتي تحثّ على التسامح والتعايش السلمي لا يعني بها التساهل والاستخفاف بأمور الدين، أو المداهنة مع الآخرين في شئون الإسلام، بل هي دلالة على مرونة هذا الدين، وتأييده للوسطية التي اختص الله بها هذه الأمة دون سائر الأمم، وموائمته للفطرة الإنسانية وطبيعة البشر، فلا تفريط ولا إفراط، بل التوسّط والاعتدال، (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) [البقرة: 143]، وأن التوجيهات الإسلامية التي تضمنها الحوار القرآني تنمّي في ضمير المسلم دلالة الخوف والرجاء بمفهومهما الإسلامي الصحيح، فلا يرى لنفسه الفضل على غيره، ولا ينظر إلى الآخرين نظرة ازدراء وانتقاص، بل يمضي قدما في سبيل موعظة العاصين ودعوة الكافرين، راجيا الخير لهم، فمن جمع بين الخوف والرجاء كيف يقتنع أن ما هو عليه من الفهم هو الحق المحض الذي لا يحق لأحد أن يعدل عنه. إن الشارع الحكيم جعل لدينه مقدرة حمل الوجوه والفهوم رحمة منه بخلقه كي لا يحجّر واسع وهو أرحم الراحمين.

وأخيرا بإمكاني أن أقول إن هذا المقال توصّل إلى أهم النتائج كالآتي:

- أن التطرّف بمعنى التركيز على جانب الغلو المحض أو العداء الصرف هو المصدر الأساس للإرهاب العدواني على الإنسانية.
- أن سبب صدور الإرهاب العدواني من قبل المسلمين هو حسن القصد لكن خالطه سوء الفهم والتركيز على بعض النصوص على حساب البعض الآخر.

---

[27] - بسام داود عجك: الحوار في الكتاب والسنة مبادئه وأهدافه، ورقة مقدمة إلى مؤتمر مكة المكرمة الخامس بعنوان: الحوار الحضاري والثقافي أهدافه ومجالاته، مرجع سابق، ص: 198.

- أن سبب الإرهاب العدواني من قبل غير المسلمين هو سوء القصد مشوب بشدة العداوة والبغضاء، والمكيدة والمكر السيء للنيل من الإسلام والمسلمين.
- استخدام الحوار بين العلماء وأولي الأمر وبين أهل الغلو من المسلمين أفضل السبل للقضاء على الإرهاب العدواني كما دلّنا على ذلك الحوار القرآني.
- استخدام الحوار الدعوي، والتسامح الديني، والتزام الصبر والتقوى، والعودة إلى الله واستمداد العون منه أعظم علاج للإرهاب العدواني الصادر من قبل غير المسلمين، قال تعالى: (لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) [آل عمران: 186].

المراجع والمصادر:

إبراهيم حمروش وآخرون: معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، بدون تاريخ.

إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، بدون تاريخ.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي حسن ناصر وآخرين، ط1، دار العاصمة – الرياض، 1414هـ.

ابن حميد، صالح بن عبد الله: أصول الحوار وآدابه في الإسلام، مكتبة صيد الفوائد، بدون تاريخ.

ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه مكتبة أبي المعاطي، بدون تاريخ.

أبو الحسين أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الفكر، ط 1399هـ - 1979م.

أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1412هـ/1992م.

أوراق المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية بمناسبة مرور (14) على نزوله، قاعة أفريقيا الدولية للمؤتمرات، الخرطوم، 20 – 22 محرم 1433هـ، الموافق 15 – 17 ديسمبر 2011م.

بسام داود عجك، الحوار الإسلامي المسيحي، دار قتيبة، 1418هـ - 1998م.

بكر بن عبد الله أبو زيد: معجم المناهي اللفظية، النسخة الإلكترونية: المكتبة الشاملة الإصدار الثالث.

الحوار الحضاري والثقافي أهدافه ومجالاته، كتاب مؤتمر مكة المكرمة الخامس الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي، خلال الفترة 4 – 1425/12/6هـ، الموافق 15 – 17/يناير 2005م.

الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط2، 1418هـ - 1997م.

سعيد إسماعيل صيني، حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1999م.

عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية، ط1، دار الفكر، دمشق، بدون تاريخ.

عبد الله بن فودي: كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن، تحقيق ودراسة: ثاني موسى أياغي، مؤسسة المختار، القاهرة، بدون تاريخ.

علي بن محمد بن علي الجرجاني: التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405م.

القواعد القرآنية: أحكام كلية قطعية مستخرجة من نصوص القرآن، انظر: عمر بن عبد الله المقبل: قواعد قرآنية، 50 قاعدة قرآنية في النفس والحياة، دار الحضارة، الرياض، ط3، 1433هـ.

المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في دورته 16 عام 1422 هـ بمكة المكرمة.

محمد جمال الدين القاسمي: محاسن التأويل، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1415هـ.
مساعد بن سليمان الطيار: فصول في أصول التفسير، دار ابن الجوزي، الدمام، ط3، 1420هـ.
يوسف بن عبد الله الشبيلي: فقه الخلاف وأثره في القضاء على الإرهاب، موقع حملة السكينة.